الحجامة في الطب النبوي آثارها وضوابطها

دكتورة/ نورة عبد الله محمد الغملاس
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية كلية التربية
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

مستخلص البحث:

موضوع البحث : (الحجامة في الطب النبوي بين شوائب الفهم وخلل التطبيق

أهداف البحث: بيان بعض الممارسات الخاطئة في تطبيق الحجامة كسنة نبوية.

منهج البحث:المنهج الاستقرائي مع النقد والتحليل.

أهم النتائج: أن الحجامة علاج فاضل ثبتت أفضليته بالوحي وعضدته التجربة، إذا مورس وفق الضوابط الشرعية والطبية المعتبرة.

أهم التوصيات: تحري الضوابط الشرعية للممارسات الطبية التي ورد فيها نص نبوي.

الكلمات المفتاحية (السنة ، الحديث النبوي، الطب النبوي)

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد.

فقد تبوأت الحجامة مكانة رفيعة في الطب النبوي، وقد وصفها النبي ﷺ بأنها من أفضل الأدوية، بل وجعلها من الأدوية الثلاثة التي حصر الشفاء فيها فقال ﷺ: (الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وكَيَّةِ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنْ الْكَيِّ)(١).
وعلى مر الأزمان أثبتت الأبحاث العلمية الطبية العالمية مدى نفعها وفاعليتها في علاج كثير من الأمراض، واستخدمت على نطاق واسع في الطب البديل.
ومع ذلك لا زالت آلية عمل الحجامة تحت البحث والدراسة، وتحتاج لمن يسبر أغوارها ويخوض في غمار البحث عن دقائقها.

ومع توسع دائرة البحث العلمي، وزيادة قناعات الناس بفائدة الحجامة لا سيما وقد ثبتت فاعليتها لبعض الأمراض، ومع العناية المتزايدة بالطب البديل التي بدأت بعض دوائر الطب الحديث تخفف من معارضتها له، وجدنا كثيرًا من المهتمين بالسنة النبوية يجتهدون في جمع الأحاديث الواردة في الحجامة، وما ورد في السنة النبوية المطهرة من تعليمات تختص بالحجامة، ويجتهدون في نشرها إلا أنهم قد يتكئون على أحاديث ضعيفة غيرها من الصحيح فيه الغنية عنها ، ومن هنا أردت أن أُسهم في هذا البحث بالقليل فيما يتعلق بتنقية أحاديث الحجامة من شوائب الضعف ليستبين الطريق للمهتمين .

---

(١)صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر كتاب الطب باب الشفاء في ثلاث (٧/ ١٢٢ /٥٦٨٠)، الطبعة: الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ .

تعريف الحجامة:

التعريف اللغوي:

الحجامة في اللغة: الحاء والجيم والميم أصلٌ واحد، وهو ضربٌ من المنْع والصَّدْف. يقال أحجَمْتُ عن الشيء، إذا نكَصْتَ عنه. والحَجْم: فِعل الحاجم(١).

قال ابن الأثير: المحجم، بالكسر، الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة ، قال: والمحجم أيضًا مشرط الحجم.

التعريف الاصطلاحي:

هي طريقة قديمة من طرق العلاج البديل التي تعتمد على سحب الدم من مناطق معينة بحسب كل مرض بهدف تنشيط الدورة الدموية وإزالة المواد السامة.(٢)

تاريخ ممارسة الحجامة:

شغلت الحجامة في مراحل مختلفة من مسيرتها أذهان وعقول المهتمين بالطب والعلاج، وخاصة علماء العرب ممن عرفوا الحجامة واستخدموها بشكل واسع في طبهم القديم.

فها هو الطبيب العربي الرازي في كتابه الكبير (الحاوي في الطب) يصف الحجامة كعلاج ناجع لكثير من الأمراض التي ذكرها(٣)، وأما ابن سينا فقد توسع في الحديث عنها، مستعرضًا فوائدها وطرق تطبيقها، مستوفيًا بعض جوانب القصور في الحديث عنها عند من سبقه(٤)،

إن المتتبع لتاريخ الحجامة يجد أن لها بعدًا جغرافيًا من مصر القديمة غرباً إلى الصين شرقًا، وبعدًا تأريخيًا أيضًا، فقد توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل ، وعرفتها كثير من الأمم والشعوب، كالفراعنة والصينيين والإغريق ، والرومان والهنود

---

(١)معجم مقاييس اللغة،لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (٢ / ١١٣) ، دار الفكر للنشر والتوزيع،بيروت، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

(٢) الحجامة طريقك الآمن للشفاء تأليف د. الجوهري قاسم الجوهري. أخصائي الرومتيزم الطبيعي.دار ابن لقمان.٢٠٠٠م. ص٥

(٣)الحاوي في الطب للرازي ، تحقيق: هيثم خليفة طعيمي،(١ / ٨٢ و ٢٢٢) و (٢/٦١ و٢٨٨) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ دار احياء التراث العربي – لبنان/ بيروت هـ – ٢٠٠٢م

(٤) انظر : القانون في الطب لابن سينا (٢٩٩/١)، تحقيق : محمد أمين الضناوي ، بدون طبعة أو دار نشر .

وغيرهم، وتم تناقلها على مر العصور، بل وجعلت في بعض الأحيان العلاج الأبرز في الثقافات الطبية لهذه الشعوب.

ومع نشاط حركة التأليف عند المسلمين وجد كثيرون من المؤلفين وبخاصة من لديهم اهتمام بالطب ومتعلقاته في الحجامة مادة خصبة لمؤلفاتهم ، وموضوعًا ثريًا لكتبهم، فظهرت كتب كثيرة في هذا المجال، ومنها: كتاب في الحجامة لجبرئيل بن بختيشوع(١) (متوفى ٢١٣)، وكتاب المنجح في الصفات والعلاجات، وكتاب في الفصد والحجامة لابن ماسويه(٢)، وكتاب فى الحجامة لعلي بن ربَّن الطبري (متوفى ٢٥٠)(٣)، كتاب الحجامة لبختيشوع بن جبرئيل((متوفى ٢٥٦)(٤)، كذلك ورد فى كتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة أشىاء عدىدة ، ىمكن الرجوع إلىه.

وبالرغم من أنَّ الحجامة كانت لها المكانة العالية لدى العرب وغيرهم من الأمم قبل الإسلام إلا أنَّها شرفت ببعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، سواء أكانت تطبيقًا عمليًا أو قوليًا فعظمت منزلتها في نفوس الأطباء والمتعالجين. فقد كانت الحجامة من العلاجات المعروفة والنافعة في جزيرة العرب قبل الإسلام(٥)، ولما ظهر

---

(١)ومعنى بختيشوع عبد المسيح، لأن في اللغة السريانية البخت العبد، ويشوع عيسى عليه السلام، وكان بختيشوع يلحق بأبيه في معرفته بصناعة الطب ومزاولته لأعمالها، وكان جبرائيل مشهوراً بالفضل جيد التصرف في المداواة، عالي الهمة، سعيد الجد، حظياً عند الخلفاء، رفيع المنزلة عندهم، كثيري الإحسان إليه، وحصل من جهته من الأموال، ما لم يحصله غيره من الأطباء. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١٠٨) و (١٨٢)

(٢) هو يوحنا بن ماسويه ، كان طبيباً ذكياً فاضلاً خبيراً بصناعة الطب، وله كلام حسن وتصانيف مشهورة وكان مبجلاً حظياً عند الخلفاء والملوك . وكان مسيحي الْمَذْهَب سريانيا قَلّدهُ الرشيد تَرْجَمَة الْكتب الْقَدِيمَة ممَّا وجد بأنقره وعمورية وَسَائِر بِلَاد الرّوم حِين سباها الْمُسلمُونَ ووَضعه أَمينا على التَّرْجَمَة وخدم هَارُون والأمين والمأمون وَبَقِي على ذَلِك إِلَى أَيَّام المتوَكل، توفي سنة ٢٤٣هــ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : الدكتور نزار رضا، ص٢٤٦ ــــ ٢٥٥ ، دار مكتبة الحياة – بيروت

(٣)انظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤١٤

(٤)كَانَ سريانيا نبيل الْقدر وَبلغ من عظم الْمنزلَة وَالْحَال وَكَثْرَة المَال مَا لم يبلغهُ أحد من سَائِر الْأَطِبَّاء الَّذين كَانُوا فِي عصره ، وكان بختيشوع بن جبرائيل طبيب المتوكل وصاحب الحظوة لديه، حتى أنه كان يضاهي الخليفة في اللباس وحسن الحال، وكثرة المال وكمال المروءة. توفي سنة ٢٥٦ ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١٤٠، ٢٠١ ، ٢٠٩)

(٥) انظر: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور/ جواد علي ، (١٦ / ٢٥)، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هــ/ ٢٠٠١م ، دار الساقي

الإسلام وأشاد صلى الله عليه وسلم بمنافع الحجامة وجعلها من أفضل الأدوية أعطى ذلك مجالاً واسعًا لانتشار الحجامة.

وأما الحجامة في العصر الحديث ومع ازدهار الوسائل والعلاجات الطبية الحديثة فقد كادت تغرب شمسها ، وتفقد وهجها وبخاصة مع كثرة الانتقادات الموجهة لها، وكثرة الممارسات الخاطئة في إجرائها، وعدم الفهم الصحيح لأسسها وأساليبها .

الحجامة في السنة النبوية :

حازت الحجامة على مكانة بارزة في السنة النبوية، ووردت فيها الأحاديث الصحاح، وشغلت قسمًا هامًّا من كتب الحديث، فهي وإن كانت من الممارسات الطبية إلا أنها في الأصل سنة نبوية شأنها شأن باقي السنن النبوية.

فقد روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن أجر الحجام، فقال: احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حجمه أبو طيبة، وأعطاه صاعين من طعام، وكلم مواليه فخففوا عنه، وقال :"إن أمثل ما تداويتم به الحجامة،والقسط البحري، وقال: لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة، وعليكم بالقسط"(١).

بل عد النبي صلى الله عليه وسلم التداوي بالحجامة كأحد أفضل ثلاثة أدوية ففي الحديث عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :(إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شربة عسل أو شرطة محجم أو لذعة من نار وما أحب أن أكتوي)(٢).

ولو استقرأنا كتب شروح الأحاديث النبوية من حيث تناولها لهذه المسألة لوجدنا توجيهات لا يمكن أن يغفلها من يعالج بالحجامة.

فالقرطبي رحمه الله يشير إلى أن الأمراض إما أن تكون الامتلائيِّة إلى دمويّة أو صفراوية أو سوداوية أو بلغمية، ثم يقرر أن الأمراض الدموية شفاؤها إخراج الدَّم (الحجامة) وهذا التقسيم نقله عن أهل الطب في زمانه(٣) وكأنهم بذلك يلجؤون إلى

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب باب الحجامة من الداء (٧/ ١٢٥ /٥٦٩٦).

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب في باب الدواء بالعسل (٧/ ١٢٣ /٥٦٨٣)

(٣)المعلم بفوائد مسلم ، تحقيق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، (٣/ ١٦٨)، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر

الحجامة في أنواع معينة من الأمراض، وليس في كل مرض، مما يمكن القول معه إلى أن ممارسة الحجامة لا بد أن تكون تحت إشراف طبيب عالم بتقسيم الأمراض.

وأما الموفق البغدادي(١) فقد ذكر أن الحجامة تنقي سطح البدن أكثر من الفصد؛ والفصد لأعماق البدن أفضل، وهي تستخرج الدم الرقيق، وتصلح للصبيان، ولمن لا يقوى على الفصد، وفي البلاد الحارة التي لا يصلح فيها الفصد، وتستحب في وسط الشهر وبعده في الربع الثالث من أرباع الشهر لا في أول الشهر ولا في آخره؛ لأن الأخلاط في أول الشهر لم تكن قد هاجت، وفي آخره تكون قد سكنت، وأما في وسطه وبُعيده تكون في نهاية التزايد.

إن هذا الكلام الصادر عن عالم جليل جمع بين علم الحديث والطب لدليل على انتفاء العشوائية في ممارسة الحجامة، والتطلع إلى الممارسة المقننة للحجامة العالمة بما يصلح وما لا يصلح(٢).

ويستنبط ابن بطال معنى بديعًا من اختلاف مواضع حجامته صلى الله عليه وسلم فيقول: (فإذا كانت منافع الحجامة مختلفة لاختلاف أماكنها فمعلوم أن حجمه عليه السلام من جسده ما حَجَم كان لاختلاف أسباب الحاجة إليه)(٣) وهذا أيضًا يؤيد ضرورة ممارسة الحجامة تحت إشراف مختص عالم بمواضع الحجم ومآلات الحجم في هذه المواضع، بل إن العشوائية في ممارسة الحجامة وعدم الدقة في تحديد موضع الحجم المناسب ربما كان ضرره أكثر من نفعه للمريض.

---

(١)عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، فقيه شافعي طبيب، رياضي، اديب، نحوي، لغوي، متكلم، محدث، مؤرخ، حكيم، مشارك في غير ذلك من العلوم. ولد ببغداد سنة ٥٥٧هـ وحدث ببغداد ودمشق والقدس وحلب وحران وبلاد الروم، وملطية والحجاز، وتوفي ببغداد في ١٢ المحرم. من تصانيفه الكثيرة: الجامع الكبير؟ في المنطق والطبيعي، انظر : معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت

(٢) انظر: المنتقى شرح الموطأ (٧/ ٢٩٨)

(٣)شرح صحيح البخارى لابن بطال ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، (٩/ ٤٠٢)، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض.

ولو سبرنا الأحاديث التي ذكرت الحجامة كقوله صلى الله عليه وسلم: (مِنْ خَيْرِ مَا تَدَاوَى بِهِ النَّاسُ الْحَجْمُ)(١) لوجدنا أنها تتكلم عن الحجامة وفق الشروط والأصول المعتبرة.

ويتبين مما سبق أن الحجامة علاج فاضل ثبتت أفضليته بالوحي وعضدته التجربة، إذا مورس وفق الضوابط الشرعية والطبية المعتبرة.

أخطاء في ممارسة الحجامة يعتقد أنها من السنة:

مع انتشار الحجامة وتوسع دائرتها وممارستها على نطاق واسع وإدراك الناس لأهميتها ظهرت مفاهيم و ممارسات خاطئة مرتبطة بالحجامة ، بل ربطها بعضهم بالسنة النبوية. نحاول خلال هذا الفصل مناقشتها وتوضيحها ومنها:

التقيد بأيام معينة للحجامة.

يعتقد البعض أن هناك أيامًا محددة من الشهر لفعل الحجامة ، وفي المقابل هناك أيام محظورة، مستندين في ذلك إلى أحاديث نبوية وردت في تخصيصها، ومن أهم هذه الأحاديث:

ماروي عن أنس بن مالكﷺ أن رسول الله ﷺ قال (مَنْ أَرَادَ الْحِجَامَةَ، فَلْيَتَحَرَّ سَبْعَةَ عَشَرَ، أَوْ تِسْعَةَ عَشَرَ، أَوْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، وَلَا يَتَبَيَّغْ بِأَحَدِكُمُ الدَّمُ فَيَقْتُلَهُ)(٢).

وما روي عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين كان شفاء من كل داء)(٣).

(١) مسند أحمد ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، (ص ٣٣ / ٣٤٢ ح٢٠١٧١) الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، مؤسسة الرسالة

(٢)سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، (٢/ ١١٥٣ /٣٤٨٦) دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٣) سنن أبي داود ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (٤/ ٤/ ٣٨٦١) المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

وما روي عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال : (خَيْرُ مَا تَحْتَجِمُونَ فِيهِ سَبْعَ عَشْرَةَ ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ ، وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ)(١).

وأيضًا ما روي عن نافع عن ابن عمر قال: (يا نافع قد تبيغ بي الدم، فالتمس لي حجامًا، واجعله رفيقًا إن استطعت، ولا تجعله شيخًا كبيرًا، ولا صبيًّا صغيرًا، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:(الحجامة على الريق أمثل، وفيه شفاء وبركة، وتزيد في العقل، وفي الحفظ، فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء والجمعة والسبت، ويوم الأحد تحريًا، واحتجموا يوم الإثنين والثلاثاء، فإنه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء، وضربه بالبلاء يوم الأربعاء، فإنه لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء، أو ليلة الأربعاء) (٢).

والحجامة من الممارسات العلاجية المعروفة ، والقول بتحديد أيام خاصة للحجامة أمر دقيق يحتاج إلى التثبت، وتحرير الخلاف فيه بدقة لا سيما وأن فيه حرجًا شديدًا ليس على المرضى فحسب بل وعلى المعالجين بالحجامة.

لذا فإن تتبع أحاديث الحجامة في السنة النبوية واستقصاء أقوال أهل العلم والمختصين بمعالجة مثل هذا الخلاف يجعلنا نعيد النظر في تحديد أيام خاصة للحجامة.

فالأحاديث الواردة في هذا الشأن _ وإن تعددت طرقها_ لم تصلنا بطريق نطمئن إليه، بل كلها معلولة، لا تقبل التقوية فأقوى ما في الباب حديث أنس رضي الله عنه ،

وأما حديث أبي هريرة الوجه المحفوظ من رواية سهيل أنه رواه عن النبي ﷺ، _ وسهيل من صغار التابعين _ فهي رواية معضلة.

---

(١)مسند أبي داود الطيالسي ، تحقيق: لدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، (٤/ ٣٨٨ / ٢٧٨٨) الطبعة: الأولى، دار هجر – مصر ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م

الحكم على الحديث:

اختلف في الحديث تضعيفًا وتصحيحًا ، قال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عباد بن منصور)، وصححه الحاكم في المستدرك (٤/٢٠٩)، ولكن الذي يظهر _ والله أعلم _ أن الحديث ضعيف، قال أبو حاتم في العلل(١٧/٦) حينما سئل عن هذا الحديث :(حديث منكر) ثم قال (يقال : إن عباد بن منصور أخذ جزءًا من إبراهيم بن أبي يحيى ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فما كان من المناكير فهو من ذاك).

(٢)سنن ابن ماجة ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (٣/ ١١٥٣، ٣٤٨٧)

وأما حديث ابن عباس فيرويه يعقوب القمي عن ليث بن أبي سليم ؛ وليث على ضعفه فهو مختلط أيضًا.

وهكذا نجد هذه الأحاديث بين إرسال وإعضال وضعف لا يستقيم معها تقوية الحديث.

ثم إن الظاهر من النقول عن الأئمة والمعنين بالسنة يدل على أنه لم يصح عندهم شيء في هذا، ولو صح عندهم شيء لنشروه وبينوه لنا، فقد سئل مالك عن الحجامة في خمس وسبع عشرة وثلاث وعشرين ، فكره أن يكون لذلك يوم محدود.(١)

وها هو إمام أهل السنة الإمام أحمد ينقل عنه حنبل بن إسحاق أنه كان يحتجم في أي وقت هاج به الدم ، وفي أي ساعة كانت(٢).

وقد علق العيني على وضع البخاري رحمه الله في صحيحه باب بعنوان (أي ساعة يحتجم) بقوله:(وقت الحجامة في أيام الشهر لم يصح فيه شيء عنده، فلذلك لم يذكر حديثًا واحدًا من الأحاديث التي فيها تعيين الوقت)(٣).و قال العقيلي:(وَلَيْسَ فِي هَذَا الْبَابِ فِي اخْتِيَارِ يَوْمٍ لِلْحِجَامَةِ شَيْءٌ يَثْبُتُ)(٤) وقال عبد الرحمن بن مهدي : (ما صح عن النبي ﷺ فيها شيء إلا أنه أمر بها)(٥). بل إن في قوله ﷺ (لا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله) دلالة على أن الحجامة تمارس متى احتيج إليها(٦) . ومع كل ما تقدم فإننا لو تنزلنا على رأي من ثبتت عنده هذه الأحاديث فإننا لا نجد فيها ما يدل على حصر الحجامة في هذه الأيام فقط من الشهر بل المقصود به حث السليم لو أراد التحري على هذه الأيام وأنها أفضل من غيرها، وأما المريض فلم يرد في حقه

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٩٩/٩)

(٢)فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٥٠/١٠) دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩

(٣)عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ، ٢١/ ٢٤٠، بدون طبعة ، دار إحياء التراث العربي – بيروت (٣٠٨/٣١)

(٤) الضعفاء الكبير للعقيلي ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي (١/ ١٥٢)، الطبعة: الأولى، دار المكتبة العلمية – بيروت ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

(٥) جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب لأبي اسحاق الحويني ، (٥١٧/٢) الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م ، دار الكتاب العربي ـــ بيروت

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ، ٤/ ٥٥ ، الطبعة: السابعة والعشرون ، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

التحري بل المسارعة و عدم ، وهذا ما ذهب إليه ابن القيم في قوله: " وَاخْتِيَارُ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ لِلْحِجَامَةِ فِيمَا إِذَا كَانَتْ عَلَى سَبِيلِ الِاحْتِيَاطِ وَالتَّحَرُّزِ مِنَ الْأَذَى، وَحِفْظًا لِلصِّحَّةِ. وَأَمَّا فِي مُدَاوَاةِ الْأَمْرَاضِ فَحَيْثُمَا وُجِدَ الِاحْتِيَاجُ إِلَيْهَا وَجَبَ اسْتِعْمَالُهَا. وَفِي قَوْلِهِ: " «لَا يَتَبَيَّغْ بِأَحَدِكُمُ الدَّمُ فَيَقْتُلَهُ» " دَلَالَةٌ عَلَى ذَلِكَ يَعْنِي: لِئَلَّا يَتَبَيَّغَ فَحُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ مَعَ (أَنْ) ثُمَّ حُذِفَتْ (أَنْ) . وَالتَّبَيُّغُ: الْهَيْجُ، وَهُوَ مَقْلُوبُ الْبَغْيِ، وَهُوَ بِمَعْنَاهُ فَإِنَّهُ بَغْيُ الدَّمِ وَهَيَجَانُهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ كَانَ يَحْتَجِمُ أَيَّ وَقْتٍ احْتَاجَ مِنَ الشَّهْرِ"(١).

فعلها على يد غير المختص :

عندما أراد الرسول صلى الله عليه سلم الحجامة تخير حجَّامًا ماهرًا يقال له (أبو طيبة) كما ورد في الحديث الصحيح عن أنس ﷺ أنه قال : احتجم رسول الله ﷺ حجمه أبو طيبة وأعطاه صاعين من طعام، وكلم مواليه فخففوا عنه، وقال:(إِنَّ أَمْثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ)(٢).

ونستخلص من فعله صلى الله عليه وسلم أن ممارسة الحجامة تعتبر نوعًا من صنعة الطب والجراحة ، فكما لا يزاولهما إلا المختص فكذلك الحجامة، وهذا أمر مهم جدير بالعناية، و إذ كان الطبيب ضامناً، فكذلك الحجام ضامن أيضًا، فقد روى النسائي وأبو داود عن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من تطبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك، فهو ضامن(٣).

وقد أشار الإمام الشافعي – رحمه الله – إلى ذلك بقوله: (وإذا أمر الرجل أن يحجمه، أو يختن غلامه، أو يبيطر دابته، فتلفوا من فعله، فإن كان فعل ما يفعل مثله مما فيه الصلاح للمفعول به عند أهل العلم بتلك الصناعة فلا ضمان عليه) (٤) ، فمقتضى كلامه يدل على أن من مارسه من غيرهم فهو ضامن.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ، ٤/ ٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب باب الحجامة من الداء (٧/ ١٢٥ /٥٦٩٦).

(٣) سنن ابن ماجه ، ٤/ ٥١٩/ ٣٤٦٦

(٤) الأم للشافعي ، ٦/ ١٨٥، بدون طبعة، دار المعرفة – بيروت

الحجم عند هيجان الدم :

يعتقد البعض أن الحجامة إنما تكون عند هيجان الدم فقط مستدلين بحديث عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : (إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَاسْتَعِينُوا بِالْحِجَامَةِ لَا تَبَيَّغَ دَمُ أَحَدِكُمْ فَيَقْتُلَهُ)(١)

وقد ذكر ابن القيم أن الحجامة فى الربع الثالث من أرباع الشهر، معللاً ذلك بأن الدم فى أول الشهر لم يكن بعدُ قد هاج وتَبَيَّغَ، وفى آخره يكون قد سكن، وأما فى وسطه وبُعَيْدَه، فيكون فى نهاية التَّزَيُّدِ.

ويستفاد مما سبق أنَّ الحجامة تعمل عند الحاجة لها، من غير ارتباط بشيء من ذلك. بل إن ظاهر حديثه صلى الله عليه وسلم(الشفاء في ثلاث..) ندب لفعلها متى احتاج لذلك..

الحرج في أجرة الحجامة :

يجد البعض حرجًا في أخذ الأجرة على الحجامة أو إعطاء الحجام أجرته منطلقين من أحاديث النهي عن كسب الحجام، ومنها:

١_عن رافع بن خديجرضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : (ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وكسب الحجام خبيث)(٢).

٢_عن أبي هريرة رضي الله عنه عنه قال:(نهى رسول الله –صلي الله عليه وسلم – عن كسب الحجام، وكسب البغي، وثمن الكلب)(٣).

إننا لو تتبعنا النصوص الشرعية الواردة في الحجامة وامتداحه ﷺ لها، وما يترتب على الحجامة من مصالح كبيرة للناس، و ما أثبتته الأبحاث الطبية الحديثة من النفع العميم والفوائد الجمة للحجامة، لوجدناها تؤدي إلى ترجيح الأحاديث المبيحة لكسب الحجام. فالأحاديث الواردة في جواز إعطاء الحجام أجره ترجح لقوتها وكثرة طرقها،

---

(١)المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (٤ / ٢٣٥ /٧٤٨٢) الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، دار الكتب العلمية – بيروت

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب المساقاة باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي والنهي عن بيع السنور(٣/ ١١٩٩ /١٥٦٨)، دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٣) مسند أحمد ، ٨ / ٩٦ / ٧٩٦٣

ومنها أمره ﷺ بتزويج أبي هند(١) _ وقد كان حجَّامًا يغلب على الظن أن كسبه من الحجامة_ كلها توحي بجواز أخذ الأجرة على الحجامة ، فضلاً عن إعطاء النبي ﷺ للحجَّام أجره ولو كان حرامًا لما أعطاه إياه.

بل إن القول بتحريم إعطاء الحجام أجره مخالف لقواعد الشرع، لأن كل ما أباحته الشريعة فثمنه مباح، وما دامت الحجامة في أصلها مباحة فكيف يقال بتحريم كسبها.

أضف إلى ذلك أن مجرد النظر في تطور وتنوع وسائل الحجامة، وكثرة أدوات الحجم، يجعلنا نعمل قواعد التشريع في تقدير العبء المادي والجهد البدني على الحجام، مما يجعل من أحاديث الإباحة توسعة وتقنينا لهذه المهنة الشريفة، لا سيما وأن الناس في حاجة ماسة إليها، وقد يجعل الله فيها شفاء لمريض من تهلكة ووقاية لشخص من خطر، وربما لو أدى القول بحرمة أخذ الأجر عليها لوأدها.

إذًا كل هذه الأمور مجتمعة تحتم القول بجواز أخذ الحجَّام الأجرة على حجامته للناس.

_ إن ظاهر النهي عن كسب الحجام يمكن أن يحمل على ثمن الدم، أو ربما ينصرف لنوع خاص من الكسب لبعض الحجامين.

_ إذًا لا يستبعد أن يكون النهي هنا للتحريم، ويكون منصرفًا للتكسب ببيع الدم الخارج من الحجامة، لا سيما وقد ورد هذا الفهم على أذهان بعض الصحابة، فقد روي عن عون ابن أبي جحيفة قال : (رأيت أبي اشترى عبدًا حجامًا، فأمر بمحاجمه فكسرت، فسألته، فقال:(نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب وثمن الدم ونهى عن الواشمة والموشومة وآكل الربا وموكله ولعن المصور)(٢) وربما هو الذي دفع كثيرًا من العلماء إلى الربط بين النهي عن بيع الدم وكسب الحجام وقد فسر بعض العلماء نهيه ﷺ عن بيع الدم بأنه أجرة الحجامة(٣)كما أنه قد يتكسب ببيعه للسحرة أو من يعتقد فيه قوة وشفاء من بعض الأمراض.

---

(١) ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة أن أبا هند حجم النبي ﷺ فى اليافوخ فقال النبي ﷺ « يا بني بياضة أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه »

وهو حديث حسن سبق تخريجه. (ص١٩٦)

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب موكل الربا(٣ / ٥٩ /٢٠٨٦)

(٣)فتح الباري (٤/ ٤٢٧)

لاسيما وقد وصف كسب الحجام بالخبيث فهو داخل في الخبائث التي حرمها الله تعالى، {وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ} سورة الأعراف، وليس أخبث من الدم، والتكسب ببيعه.

ثم إن اقتران كسب الحجام بثمن الكلب ومهر البغي مشعر بوجود رابط مشترك بينهما، وقد ربط بيع الدم بهما أيضًا في حديث عون بن أبي جحيفة عن أبيه أن رسول الله ﷺ (لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة، وآكل الربا وموكله، ونهى عن ثمن الكلب، وكسب البغي، ولعن المصورين)(١)

فهذه الثلاثة (ثمن الكلب ومهر البغي وكسب الحجام) ربط بينها الشارع، وأسقط في حديث أبي جحيفة (كسب الحجام) وأقام مقامه (ثمن الدم) مما يقوي الاحتمال بتفسير كسب الحجام بثمن الدم.

وختامًا فلله الحمد حمدًا كثيرًا مباركًا طيبًا فيه أن أعان على إتمام هذا البحث ، وإني لأرجو الله أن أكون قد وُفقتُ بالإسهام في خدمة السنة النبوية المطهرة، فإن وُفقتُ فهو فضل من الله يؤتيه من يشاء، وله الحمد والمنة أبدًا، وإن قصرت فهو طبيعة الإنسان وعليه الاعتذار.... والله أسال أن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله بدءاً وختامًا، وهو حسبي واليه مناب.

وفي ختام هذه الدراسة، خلصت إلى النتائج الآتية :

_ أن الحجامة من الطب النبوي وقد وردت فيها أحاديث صحاح تبين فائدتها.

_ أنه قد انتشرت أحاديث ضعيفة في الحجامة ينبغي التفطن لها عند ممارسة الحجامة

_ أن الحجامة قد ثبتت منافعها بالأحاديث الصحيحة وعضدتها التجربة.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللباس باب لعن المصورين (٧/ ٦١ / ٥٣٤٧)

المصادر والمراجع:

١ ــ الأم للشافعي، بدون طبعة، دار المعرفة – بيروت

٢ــ جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب لأبي اسحاق الحويني، الطبعة الثانية ١٤١٤هــ، ١٩٩٤م ، دار الكتاب العربي ـــ بيروت

٣ ــ الحاوي في الطب للرازي ، تحقيق: هيثم خليفة طعيمي، الطبعة: الأولــى، ١٤٢٢ دار احياء التراث العربي – لبنان/ بيروت هــ – ٢٠٠٢م

٤ ــ الحجامة طريقك الآمن للشفاء تأليف د. الجوهري قاسم الجوهري. أخصائي الرومتيزم الطبيعي.

٥ ــ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ، الطبعة: السابعة والعشرون ، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، ١٤١٥هــ /١٩٩٤م.

٦ ــ سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

٧ ــ سنن أبي داود ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

٨ ــ شرح صحيح البخارى لابن بطال ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هــ – ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض

٩ ــ صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولــى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هــ.

١٠ ــ صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت

١١ ــ الضعفاء الكبير للعقيلي ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة: الأولــى، دار المكتبة العلمية – بيروت ، ١٤٠٤هــ – ١٩٨٤م

١٢ ــ عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، بدون طبعة ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٣ ــ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت

١٤ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩

١٥ ــ القانون في الطب لابن سينا، تحقيق : محمد أمين الضناوي ، بــدون طبعــة أو دار نشر .
١٦ ــ المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعــة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، دار الكتب العلمية – بيروت
١٧ ــ مسند أبي داود الطيالسي ، تحقيق: لدكتور محمد بن عبــد المحــسن التركــي، الطبعة: الأولى، دار هجر – مصر ، ١٤١٩ هــ – ١٩٩٩ م
١٨ ــ مسند أحمد ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشــد، وآخــرون، الطبعــة: الأولى، ١٤٢١ هــ – ٢٠٠١ م، مؤسسة الرسالة
١٩ ــ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحيــاء التــراث العربي بيروت
٢٠ ــ معجم مقاييس اللغة،لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد الــسلام محمــد هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع،بيروت، ١٣٩٩هــ /١٩٧٩م.
٢١ ــ المعلم بفوائد مسلم ، تحقيق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨م، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر
٢٢ ــ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور/ جواد علي، الطبعــة: الرابعــة ١٤٢٢هــ/ ٢٠٠١م ، دار الساقي